سردية الأمثال العربية

رمضان عمر

ملخص

المثل لون من ألوان الأدب، عرف قديما، وتناقلته الأجيال، ووعته عن ظهر القدماء من قلب؛ لما له من سمات فنية ودلالية تعين على ذلك،وقد حظي بعناية فائقة على حد سواء، جمعا وتبويبا،ودراسة وتحليلا. والمحدثين

- بعد ظهور المناهج النقدية الحديثة-وقد أعيد درسه في العصر الحديث بطرق شتى؛ فمع تداخل الأنواع الأدبية، واستعارة بعضها من بعض؛ أصبحت إمكانية المزج بين نوعين أو أكثر من الأنواع الأدبية في دراسة نقدية واحدة ، أو إسقاط سمات على لون آخر كشعرية القصة، وسردية الشعر، وما شابه ذلك - تكثر في لون-فنية واردة.

وفي هذه الدراسة البحثية، قام الباحث بتناول البنية السردية للمثل العربي القديم، مستفيدا من مصطلحات السرد الحديثة، موظفا لتقنياتها المتعددة في دراسة الأمثال دراسة فنية، وقد زاوج بين قيمتين هامتين: قيمة دلالية تكشف عن أسرار غامضة يكتنفها النص الأصلي الموجز المكثف،وقيمة فنية تعين على تلمس معالم البنية السردية في النص الحكائي التي مثلته قصة المثل.

وقد تناول الباحث في هذا البحث ثلاث قضايا، عدها أساسا للبنية السردية، تمثلت في: الشخصية، والحدث وبنية اللغة.

وقد رأى- من خلال ما أورده من أمثلة- أن مادة المثل وما يتبعها من قصة له تمثل بنية سردية حكائية كاملة، تتوافر فيها كافة الشروط المرجوة للنص السردي.

Summary

Aphorism is an ancient style of literature, that was transferred orally from one generation to the other, who understood its direct meaning and hidden indications. For the aphorism's special characteristics and indications great attention was paid on it from the ancient and modern studies, to collect it, sort it, study it and analyze it

The techniques or characters that exist in one literally style in the other styles, such as poetical story or recitative poem or extra.

In this study, the investigator focused on recitative structure of the aphorism, using the new recitative terminologies, and making use of its different techniques to study the aphorism. The

investigator also mixed two important values: the value of indication that shows the hidden secrets in the original concentrated prices text, and the artistic value of the aphorism that touches the recitative structure in the story of the aphorism.

This study also discussed three issues, that were considered the base of the recitative structure: the character, the event and the language. The investigator concluded using many examples that the aphorism and its followed story represents the recitative structure, and has all the required conditions needed in any recitative text.

تمهيد:-

ربما كانت محاولة تناول البنية السردية في المثل العربي واحدة من المغامرات البحثية الساخنة التي تستدعي عُدة إبداعية نوعية؛ذلك أن ولوج عالم السرديات- من خلال عملية الاستعارة- ثم توظيف ذلك في مجال إبداعي مغاير، قد يعبث بالمفهوم الكلاسيكي للسرد، ويضفي عليه مسحة جديدة؛خصوصا ونحن نحاول تطبيق ذلك على نص تراثي قديمكالمثل؛غير أن استدعاء طاقات البحث العلمي الجاد،وولوج عالم التطبيق العملي عبر آليات المقاربة والقياس؛ يجعل البحث ضرورة من الضرورات وإضافة من الإضافات.

ولعل في استحضار قصة المثل التي تقترب -إلى حد كبير – من النص الحكائي الذي يطاله الدرس السردي، لتشابه المدخلات الفنية بين قصة المثل وطبيعة النص السردي، ما سيقلل من تلك الغلواء المتوقعة.

وقد تكون القصة القصيرة إحدى البوابات النافذة التي سيستعين بها البحث في عملية المقاربة المنشودة؛ فهي –أي القصة القصيرة-من أكثر الفنون السردية انتشارا،ومن أقدرها على التعبير عن الأزمة الإنسانية،وعكس خلاصة التجربة الجمعية أو الفردية في شكل إبداعي يقربنا من عالم المثل.

ومما لا شك فيه أن القصة القصيرة لها من التقنيات ما يميزها عن سائر الفنون الإبداعية، كالشعر والرواية والمسرحية،بل إن ذلك التمايز بين الأنواع الأدبية يقع في الشكل والمضمون معا وفي المفاهيم والخصائص أيضا.ولعل أهم ما يميز البنية السردية للقصة القصيرة هو ذلك الثبات البنيوي والصفاء وعدم التداخل.

ولعلنا- ونحن نتناول الفنون الأدبية- نقف عند بعض خصائص تلك الفنون لنعرف كيف نتخير فنا دون غيره لنقيس عليهن؛ ذلك أن أي عمل سردي له مظهران، ولا يكون ذلك إلا في الأعمال السردية: أولاهما دلالي، وثانيهما تركيبي؛ فهو من ناحية يدلل على التجربة، أو عن المعنى، ومن ناحية ثانية، فإنه يشكل بنية جمالية

وتعبيرية لها أصولها وتقاليدها التي تشبه أجواء اللعب أصول اللوحة الفنية أو القطعة الموسيقية.(1)

والبنية السردية ليست جزءا مستقلا، ينفصل عن عالم التعبير والحياة، ويستقل في قولبة خاصة، بل هي نفسها تحوي مجتمعا، وفكرا، ولغة،وهي جزء من البناء الكلي للنص، بل هي صورة من البناء الاجتماعي،والبناء اللغوي،وصورة للفكر الإنساني.(2)

ومن هنا؛ فإن من حق البنية السردية أن تفتح أبواباً متعددة، تبدأ باللغة وتمر بالتشخيص، ولا تغفل الأبعاد النفسية والاجتماعية، أو الرؤى الفنية والدلالية؛ لأنها تمثل عملية تشابكية، بين المادي والمعنوي، بين الصامت الوصفي المكاني، والمتحرك الزماني.

ولا يمكن فصل أو تجزئة علاقة اللغة بالسرد،الذي هو خطاب شفوي أو مكتوب، يحكي قصة تتشكل من مجموعة الأحداث المروية.

اللغة في الخطاب السردي الحديث ستتجاوز بعدها القاموسي، وتدخل في أيقونة التشكيل السيميائي(3)، لتشكل لها فضائين جديدين، سمتهما الأولية سمة جمالية تأويلية، وهي تمثل من خلال هذه الرؤية انقلابا على التقليد، وولوجا ميلاديا إلى عالم التشكيل الفني، أي إنها ستكتسب دلالات جمالية تفاعلية.ومن هنا فإن إعادة قراءة المثل قراءة نقدية من خلال لغة السرد التي تعتوره يعني:إعادة تشكيل لغة المثل من خلال هذه المقاربة الاستفزازية.

والسرد في النهاية اصطلاح حديث للقص،يشتمل على حدث يقوم السارد أو الحاكي أو الراوي بسرده،والسرد العربي غني بقصصه وأخباره، وتعدد رواته ولغاته،مما يؤكد التواصل المصطلحي بين التراث العربي وقابليات التعريب والترجمة، كلما تعمق البحث المصطلح وفق منهجيته وعلميته ومعرفيته(4).

وإذا كنا قد توصلنا إلى أن النثر العربي القديم قد عرف طريقه إلى السرد، إلا أننا سنقول أيضا: إن السرد العربي لم يحظ بالعناية الكافية من النقاد المعاصرين؛ رغم توفر مادة سردية ضخمة في تراثه، كالأخبار، والنوادر، والقصص، والحكايات، والمثل والرحلات، والسير، وسوها،وقد يعود ذلك- في بعض أسبابه- إلى استمرار النظر الموروث الأدبي العربي على أنه متمركز في الشعر فقط،أو أن الهوية الثقافية

---

1 - عبد الحليم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005،ص.14

2 (شلوفوسكي)، بناء القصة والرواية، ترجمة: إبراهيم الخطيب،الشركة المغربية للناشرين المغربيين المتحدين،بيروت، 1982،ص137.

3 السيميائية أو السيميولوجيا هي " دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية " (بنكراد، 2003). وهي في حقيقتها " كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنِّع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن " (بنكراد، 2003.

4 عبدالله ابو هيف،المصطلح السردي تعريبا وترجمة في النقد الأدبي الحديث، مجلة الدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 28ن عدد 1،2006، ص30.

للتراث تتجلى من خلال الشعر، لما تميز به الشعر –في المقام الأول -من قوة ونفوذ وانتشار.

غير أننا قد نجد سببا وجيها آخر يكشف عن سر ذلك التقصير أو التجاهل، فالشفاهية التي مكنت الشعر من حفظه وتناقله لا تصلح للنثر المحتاج- أصلا- إلى كتابة توثقه، فليس حفظ النثر كالشعر،ومن هنا؛ فقد تأخر الاهتمام به لهذه العلة.غير أن إعادة نبش التراث وفق منهجية إبداعية جديدة، من نحو تتبع البنية السردية في المثل العربي سيجدد للمثل العربي هويته الإبداعية،وقدراته الفنية وقد يكشف عن معطيات جديدة تتجاوز قيمة المثل في الدرس اللغوي، الذي عني به أوائل المدونين. غير أن البحث لن يفتح جبهة تحاكم اولئك المدونين، ولن يقفز على جهودهم فلكل زمان منطق يوافقه.غير أن البحث يصر على أن إعادة دراسة المثل من هذه الزاوية سيضيف غلى هذا الموروث نقاطا هامة،وسيكشف-كما ذكرت آنفا-عن طاقات استثنائية في الجانب الفني لهذا النوع الأدبي.

بيد أن هذا التناول لا يجوز أن يقع دون أن نتسلح بالوعي الكافي ن والوعي الذي اقصده وعي الحاضر بالماضي، فالوعي بالتراث هو وعي بمنجز بشري، وليس في الماضي ما يقدس إلا ما اتفق على تقديسه كالقران وما جاء عن نبي مرسل.

ولكننا نغار على ذلك الموروث، وندافع عنه غيرة الحريص الواعي، وهذه الغيرة لا تمنعنا من الموضوعية والتنقيح والتنقيب ورفض المخالف للفطرة والحقيقة.

إطار البنية السردية

تحاول هذه الدراسة أن تشكل منهجية ما،وفق رؤية نقدية استكشافية تتناول التشكيل السردي للمثل(1)، محددة العناصر المكونة لنصوصها،وقد تبين للباحث أن جملة البنية التكوينية للمثل تأتي من خلال تكوين ثلاثي الأركان:نص، وصيغة، وقصة، وهي تبين رؤيتها لحقل عملها، وتضيء منهجها من خلال تتبع مفردات البنية السردية ومتعلقاتها الرئيسية"الإطار، والأحداث، والشخصية، والفضاء".

اما المثل نفسه فهو الركيزة الأساسية المشكلة لهذه البنية؛ فحينما نقول:"أسرع من نكاح أم خارجة"(2)،فإن الدراسة السردية ستنصب على هذا المتن أولا، ثم تنطلق إلى فضاءاته،فندرس جملة المثل، وندرس مؤداها اللفظي،ثم أبعادها الدلالية المنوطة بتجربة الفرد أو الجماعة.

---

1 لغة: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر، ويصوره نحو: الصيف ضيعت اللبن

والمثل في الأدب العربي: قول محكي سائر، يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي: يشبه مضربه بمورده، مثل: رب رمية من غير رام.انظر:. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ 1998مص58. وانظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بضرب الأمثال،، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ 1998مصن59.

2 أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(المتوفى: 518هـ)تحقيق:: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان،ج2، ص348.د. ت.

والحقيقة أن المثل- غالبا ما- يبنى على أساس من خبرة جماعية، أو تجربة فردية، تحظى بالقبول والتداول، وهو- أي المثل- أقل تجريدا من الحكمة، وأكثر تخصيصا، وربما انبنى على بعد حسي واتسم بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى،وحسن التشبيه.

أما فضاءات المثل المتمثلة بالقصة والراوي؛ فإنها جديرة بالدراسة؛ لإنها تقدم إضاءة نوعية، تعين على فهم المثل،ووضعه في سياقه المشابه عند ضربه لمن شابهه.

وحينما نعود إلى المثل ذاته، فإننا نجد أن بنيته الذاتية تدفع باتجاه تشكيل رؤية سردية خفية،مع العلم أن النص المكثف والموجز لا يحتمل أية قيمة حكائية في ذاته،إلا أن القيمة الحكائية قد تقع على عاتق المتلقي، حين يبدأ بتشكيل أسئلة افتراضية من شأنها أن تعمق القيمة الدلالية لهذه العبارة الموجزة، وتستحضر نسقا تعبيريا افتراضيا ذا سمة سردية من نحو:من قائل هذه العبارة؟وما قصة أم خارجة؟وما قصة زواجها السريع؟ وقد تساعد بعض الأفعال المشكلة لمادة المثل في تجسيد هذه الرؤية السردية كما في قول المثل'' وافق شن طبقة'' فالفعل الماضي هنا يثير زوبعة زمانية ماضوية مطلقة تحفر في العمق لتتقصى دلالة الحدث:كيف تم التوافق، ومتى ؟ وتحاول تجسيد مادة السرد عبر استحضار شخصيتين افتراضيتين هما: شن، طبقة.

هذه المادة الخام للمثل استطاعت- حتى اللحظة- أن تقدم لنا قيما افتراضية لفضاء سردي أعمق تجذرا،وأوسع تفصيلا؛ ولعل هذا لن يتم دون ربط مادة المثل بقصته أي بفضاءه، وهنا تبدأ عملية الاستحضار، بل تصبح هذه العملية الاستحضارية ضرورة من ضرورات التوجيه النقدي،ولن تتم هذه المزاوجة التكاملية قبل أن نعثر على نص رديف يضبط إيقاعات المثل، ويوجهها توجيها يجيب عن الاسئلة السردية الافتراضية المرجئة لدى المتلقي عند قراءة المثل للوهلة الأولى، فنقرأ في مجمع الأمثال ما نصه:" قَالَ الشرقي بن القطامي: كان رجل من دُهاة العرب وعُقَلائهم يُقَال له شَنٌّ، فَقَالَ: والله لأُطُوفَنَّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها، فبينما هو في بعض مَسِيرَه إذ وافقه رَجُلٌ في الطريق، فسأله شَنٌّ: أين تريد؟ فَقَالَ: موضعَ، كذا، يريد القربة التي يَقْصِدها شَنٌّ، فوافقه، حتى [إذا] أخذا في مسيرهما قَالَ له شَنٌّ: أتحْمِلُنِي أم أحْمِلُكَ؟ فَقَالَ له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكتَ وعنه شَنٌّ وسارا حتى إذا قَرُبا من القرية إذا بزَرع قد استَحْصَد، فَقَالَ شَنٌّ: أترى هذا الزرع أكِلَ أم لاَ؟ فَقَالَ له الرجل: يا جاهل ترى نَبْتاً مُسْتَحْصِداً فتقول أكِلَ أم لاَ؟ فسكَتَ عنه شن حتى إذا دخلاَ القرية لَقَيَتْهما جِنَازة فَقَالَ شن: أترى صاحبَ هذا النّعْشِ حياً أو ميتاً؟ فَقَالَ له الرجل: ما رأيتُ أجْهَلَ منك، ترى جِنَازة تسأل عنها أمَيْتٌ صاحبُها أم حى؟ فسكت عنه شَن، لاَراد مُفارقته، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه، فكان للرجل بنت يُقَال لها طَبقة فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضَيفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جَهْلَه، وحدثها بحديثه، فَقَالَت: ياأبت، ما هذا بجاهل، حتى نقطع طريقنا وأما ?" فأراد أتحدثُنى أم أحَدِّثك ?أما قوله''أتحملنى أم أحملك

قوله"أترى هذا الزرع أكِلَ أم لاَ" فأراد هَلْ باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لاَ، وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عَقِباً يَحْيا بهم ذكرهُ أم لاَ، فخرج الرجل فَقَعد مع شَنٍّ فحادثه ساعة، ثم قَالَ أتحبُّ أن أفسِّرَ لك ما سألتني عنه؟ قَالَ: نعم فَسَّرَهُ، ففَسَّرْهُ، قَالَ شن: ما هذا من كلامك فأخبرني عن صاحبه، قَالَ: ابنة لي، فَخَطَبها إليه، فزوَّجه إياها، وحملها إلى أهله، فلما رأَوْها قَالَوا: وافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ، فذهبت مثلاً.(1)

لو تتبعنا هذا النص، الذي انفرد ببنية حكائية مكتملة، مع التنويه-مسبقا- أن لا علاقة لهذا النص ببنية المثل ذاته، فنحن- هنا- مع نص مستقل، إلا أنه رديف يكشف عن مدخلات جديدة، تجعل من الجملة النحوية، التي يتكئ عليها المثل، نصا كامل الدلالة، بل سينفتح النص الأصلي على دلالات جديدة من خلال البوابة السردية؛ فالقصة التي فضحت المثل، أو شرحته، تحتوي على عناصر قصصية ليست في المثل الأصلي، وربما كانت دراسة قصة المثل أجدى- من الناحية الفنية- من دراسة المثل ذاته، لولا أن المثل يعد الأساس الذي بنيت على غراره القصة.فلا مناص من تناوله.

لكن دعنا نوظف تلك الإشعاعات، التي جادت بها قصة المثل، في دراسة المثل،فجملة"وافق شن طبقة" هي النص الكامل لمادة المثل، وهي جملة مركزة موجزة؛ لكن دعنا نوسع لها الفضاء، لنقول: ربما كان قائل هذه الجملة رجلا حكيما شهد الحادثة، قالها عابر طريق- مثلا- فاستظرفها السامعون، فغدت مثلا، ومن هنا؛ فإن هذه الجملة الموجزة قد استدعت شخصية ثالثة، أي أننا أمام ثلاث شخصيات: شن وطبقة والراوي.

وهنا تظهر الشخصية كلاعب أساسي في توجيه سردية المثل؛ فالقصة تستدعي دالا تاريخيا مكن- من خلال الشخصية- لكشف أوجه المقاربة بين شن وطبقة، وليس سوى القصة من يستطيع أن يؤكد هذه المطابقة بين الشخصيتين.

وإذا كانت المطابقة الشكلية تستدعي نوعا من الوصف المكاني؛ فإن قصة الحدث ستقدم أنموذجا زمانيا- من خلال ما جرى- لنكون مع وحدتين متلازمتين:وحدة مكانية وصفية تؤكد أوجه المطابقة، ووحدة زمانية تثبت مصداقية الحدث، وتشير إلى تفاصيله التي جرت، وعبر هذين المكونين(الزماني، والمكاني) تقع البنية السردية.

إن الصفات الأساسية للمثل(الإيجاز، والحذف، وغياب الحدث، ونمو اللغة السردية وحركة الشخوص قد تسبب إعاقات حقيقية أمام الباحث عن بنية سردية في المثل،لكن العناصر الإضافية التي يمثلها الإطار المفترض للمثل ستعوض هذا النقص، وتسد تلك الثغرة؛ فقصة المثل التي بدأت بفعل سردي من الدرجة الأولى"كان"، وصيغة تعبيرية اكتملت بنيتها السردية من فعل وحركة وزمن وحدث، قد قامت بدور المنقذ الذي ملا الفراغ، وأحكم السبك المطلوب، بل إن هذه الإضافة قد

---

1 أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(المتوفى: 518هـ)تحقيق:: محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت، لبنان،ج2، ص359.د. ت.

أحكمت- فنيا- بحيث تجد أننا أمام نص حكائي هو المقصود أصلا من المثل، وان لم يصرح به.

ولا يشترط في شخصية المثل أن تكون معروفة مسماة، بل ان قصة المثل هي التي تكشف عن تلك الشخصية كما في المثل''إِيَّاكِ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةْ"(1).

ففي هذا المثل لا بد من استحضار كافة الفضاءات المعينة على تحليل شيفرات الدلالة المكنونة في كل من الكلمات(الضمير في إياك) و(الضمير في أعني) و(جارة).

وقد جاء في مجمع الأمثال أن ''أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَزَاري، وذلك أنه خرج يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أخته: انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خِبائها فرأى أَجْمَلَ أهل دهرها وأكملهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسيدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْرِي كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بِفناء الخِباء يوماً وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَهْ... كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَهْ

أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ... إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، فقالت: ماذا بِقَوْلِ ذي عقل أريب، ولا رأيٍ مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أَقَمْتَ مكرَّما ثم ارْتَحِلْ متى شئت مسلماً، ويقال أجابته نظماً فقالت:

إِنِّي أَقُولُ يَا فَتَى فَزَارَهْ... لاَ أَبْتَغِي الزَّوْجَ وَلاَ الدَّعَارَهْ

وَلاَ فِرَاقَ أَهْلِ هذِي الْجَارَهْ... فَارْحَلْ إِلىَ أَهْلِكَ بِاسْتِخَارَهْ

فاسْتَحْيا الفتى وقال: ما أردتُ منكرا واسوأتاه، قالت: صدقْتَ، فكأنها اسْتَحْيَتْ من تسرُّعها إلى تُهمَته، فارتحل، فأتى النعمان فَحَبَاه وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينا هو مقيم عندهم تطلَّعت إليه نفسُها، وكان جميلا، فأرسلت إليه أنِ اخْطُبني إن كان لك إليَّ حاجة يوما من الدهر فإني سريعة إلى ما تريد، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره.2

من خلال هذا الاقتباس المهم لقصة المثل نجد أن المثل قد قيل في قصة واقعية لها شخوصها وتاريخها وأبطالها، لكن ثمة شيء مهم في المثل نجده في تعقيب الشارح حين قال:"يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به غيره".

وعند إعادة كتابة المثل بطريقة جديدة،فإننا سنعثر على عناصر سردية تكشف عن إمكانية إشعاعية موفقة في الاستدلال؛ حيث بروز واضح لعالم الشخصيات،

---

1. مجمع الامثال، ج1، ص49، مرجع سابق..
2. نفسه،ص49.

واختفاء للسارد الموجه للخطاب السردي، وهذا ما يلمحه السامع وهو يتلقى المثل عبر كلمة''أعني''،ثم يوجه الخطاب السردي عبر فعل الأمر'' اسمعي''حيث يحث السارد الشخصية الأساسية في المثل للمشاركة في الدلالة، وهنا تتجلى البنية الدرامية بوضوح حيث تعدد الشخصيات ونشوب خطاب شبه حواري، وهذه البنية الحوارية أو الدرامية ضرورية لبناء الحدث،بينما –وهذا هو المهم –تكشف بعض الكلمات عن متعلقات محذوفة، تستدعي استحضار النص الحكائي المغيّب، وهنا تأتي أهمية الاستعانة بقصة المثل؛ لأن جزءا من المدلول اللغوي مرجأ ريثما نستحضر قصة المثل لتكشف لنا عنه.

صحيح أن من يستخدم المثل لن يحتاج إلى قصته، ما دام قد عرف لما يضرب له،إلا أن قصة المثل هي التي أعطته مشروعية الوجود.

بل أن القصة تصبح جزءا من المثل يفقد المثل دونها اهم مكوناته ودلالته؛ فمثلا في المثل''أينما أوجه الق سعدا"(1)فلو نظرنا إلى كلمة'' سعد"-هنا-فإنها ستكون ساذجة إلى الحد المضحك،ما لم ترتبط بحادثة تكشف عن سر اختيار هذا الاسم دون غيره،وهنا تبدأ عملية الربط فنجد أن سعدا كان سيد قومه فوجد منهم جفوة فرحل عنهم إلى غيرهم فوجد يغيرهم يفعلون بأسيادهم ما يفعل قومه به فقال ما قال وجرى قوله مثلا.2

لكن دعنا– أيضا- نؤكد على سمة مهمة من سمات المثل التي تؤهله ليلج عالم السرد؛فجملة المثل لا بد أن تنطوي على ثنائية ما، لبناء مفارقة درامية،وهذه الدرامية تغنيه سرديا؛ ففي المثل السابق يمكن أن نلمح المفارقة في طبيعة توجيه الخطاب، فمع أن المخاطب في قول القائل:''إياك أعني واسمعي يا جارة" هو السامع الأول من الخطاب، إلا أن الجارة هي المقصودة من الخطاب وهنا انحراف دلالي يشبه طريقة التورية في البلاغة، وهنا تأتي المفارقة لتضع النص في جو درامي، يوسع من أفق الدلالة ويفتح بواباتها على تفسيرات أبعد.

وفي بعض الأحيان تأتي المفارقة عبر التضاد اللغوي الذي تحمله الكلمات؛ كما في قوله:" إذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونَكَ فَلا تَأمَنْ عَذَابَ مَنْ فوْقَك"(3).فهنا ظلم يقابله أمن، ودون عكسه فوق.

وإذا كان استحضار المثل لا يستدعي استحضار قصته بالضرورة على اعتبار أن المثل نص مكتف بذاته،فإن استحضار القصة مرهون بحضور المثل في ذهن الراوي؛ومن هنا تأتي خصوصية قصص الأمثال بوصفها إثباتا لمشروعية المثل،من حيث هو خلاصة تجربة إنسانية،تحاول النصوص القصصية جعلها أقرب إلى التأريخ،بالإشارة- على سبيل المثال-مواضعات اجتماعية معروفة،؛ كالانتماء

---

[1] نفسه،ص88

[2] راجع القصة في مجمع الأمثال، ص88

[3] نفسه، ص60

القبلي لبعض الشخصيات،أو نسبة بعض الأحداث لشخصيات معروفة؛ فإن كانت تلك القصص خيالا فقد روعي فيها الإيهام بالواقع لإكسابها بعض الملامح التاريخية. وسواء أكانت قصص الأمثال حقيقية أم خيالية فإنها -في الحالين- جزء من التاريخ الثقافي للمجتمع(1).

الشخصية في المثل

تعد الشخصية العنصر المحوري، ليس في قصة المثل فحسب،وإنما في أي عمل قصصي،بل ثمة من يقول بأنها: العمل القصصي نفسه، وإنه بالإمكان أن يغفل الزمان والمكان والحدث في القصة؛لكن لا يمكن إغفال الشخصية باي حال(2)؛ فالشخصية في القصة، هي عنصر البناء الأساس؛ ذلك أن الأشياء والأحداث توجد بوجود الشخصية،والشخصية هي التي تمنح الاحداث والازمنة والاماكن وجودا، وهي التي تع\يها معنى وتجعلها مفهومة(3).

وعلى الرغم من أهمية الشخصية؛ إلا أنها لم تحظ بذلك الاهتمام المطلوب من الباحثين- كما يرى الباحث- سواء في جانب عمق البحث النظري، أو في جانب الدرس التطبيقي،ولعل بنية الشخصية في المثل ودورها في توجيه دلالة الخطاب المقتضب - وذلك باعتبار المثل جملة مكثفة ذات دلالات ايحائية بعيدة- ستشكل ابجدية من أبجديات الدرس النقدي المتناول لسردية المثل؛ فلا معنى للحديث عن سردية لا شخصية فيها، فتجرد المثل من عالم الشخصية يحيله- في أغلب الاحيان- ألى جملة فاقدة الدلالة.

وقد شكلت الشخصية- في نصوص الأمثال- ركنا من أركان العلاقة بين هذه النصوص،ومراجعها الواقعية، فهي تقوم بمهمة استراتيجية بين زاويتي الاخبار والتمثيل؛ففي الوقت الذي تعبر فيه عن تاريخ لحظة زمنية،وتجربة تاريخية، تقوم بدور المترجم الناقل لدلالة التجربة وإخراجها إخراجا تمثيليا في عالم الواقع.وهي -مع تقديمها لتجربة الصيغة وايحاءاتها بفضاء وقوعها لا تستغني عن دور الشخصية بوصفها العنصر الأولي والأساسي الذي" يتجسد في العمل السردي ضمن عطاءات اللغة التي يغذوها الخيال للنهوض بالحدث، وللتكفل بدور الصراع داخل هذه اللعبة السردية العجيبة(4).

وإذا كانت الشخصية في النصوص السردية،عموما،وفي نصوص الأدب الواقعي بشكل خاص قد وُجهت لفحص هذه العلاقة، من خلال معاينة تجسدها ضمن

---

1 ناصر بن صالح العجيلان،الشخصية في قصص الأمثال العربية،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة الملك عبد العزيز بتاريخ: 1420/3/7هـ، وتمّت إجازتها. عام 2009 م(بالتعاون مع المركز الثقافي العربي.ص5.

2 هنري جيمس، مقدمة قصة السفراء،نقلا عن:حسين الواد،البنية القصصية في رسالة الغفران،تونس، دار الجنوب،1993،ص84.

3 انظر حول هذا الموضوع: rimmmon kenan. Narrative fiction.londen.newwaccente.1983.p35.

4 لؤي حمزة عباس،سرد الامثال،من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003،ص131.

سياق اجتماعي معين، ورصد مختلف تغيراتها خلال تغير مجرى الأحداث؛ فإنها تولد في نصوص الأمثال، وتنمو وتنفعل،وتتفاعل؛ لترتفع بأهداف النصوص، وتنجز مهماتها في كشف تجربة صيغة المثل، والتمثيل لها.

وإذا كانت الأمثال قد عدت صورا معرفية، تحمل بين أهم ما تحمل ألياف التجربة الإنسانية،وهي تنعكس أبنية وأنساقا على مرآة العقل،فإن الشخصية تعد في مثل هذا التصور واحدا من أهم ملامح التجربة،وأوضح أطيافها؛ لأنها العنصر الذي تناط به مهمة الحركة بين مجالي المرجع والنص.من دون أن يفقد خلال حركته صورته الأولى، أو يغادر ملمحا من ملامحه،فهو يحافظ على العلاقة التي تقام بين النص ومرجعه؛ فتتكون له حينئذ صورتان:صورة تاريخية، وأخرى أدبية(1).وهاتان الصورتان تعملان في نسق واحد وتنتجان في امتزاجهما وتضافرهما مرتكزا أساسيا من مرتكزات نصوص الأمثال.

أما حضور الشخصية التاريخية في نصوص الأمثال باسمها،ولقبها،وكنيتها،وبسماتها الجسدية، وما عرف عنها من نزوع، واهتمامات؛ فذلك يعين على تأمين هذه الصلة والارتفاع برصيد كتب الأمثال لتقوم بالتقاط جانب من التجربة الانسانية، وإضاءة صيغها،وبيان وقائعها؛ وبذلك ستقترب من من حقيقة ما تروي،وتوثيق تاريخيته، بحضور الشخصية نفسها التي تعد -بما تعز به من معلومات- وثيقة تاريخية،إنسانية تستحضرها النصوص للارتفاع بمصداقية روايتها،وان خضعت الشخصية نفسها لاسطورية الحضور،واستجابت في اداء تجاربه،لهيمنة الخيال وقوة تشكله(2).

وعندما نبدأ في دراسة الشخصية، من خلال نوعياتها ومستويات حضورها،بغية الوقوف على جانب من جوانب نصوص الأمثال،وتبين حيويتها وفاعلية تعاملها مع عناصرها السردية التي تنظم ووتواشج، في سبيل تعيين أدبية مكتب الأمثال؛ فإن النصوص التي تنطوي على شخصيات متعينة، ومسماة تنقسم بدورها قسمين، تستحضر الشخصية في القسم الأول من خلال نص واحد؛ فهي وليدة تجربة مفردة،فيما تمتد شخصيات القسم الثاني على مدى أوسع من التجارب والخبرات، عبر عدد من النصوص،بما يمنحها من خلال سعة مساحتها السردية وامتداد علاقاتها مع الشخصيات فرصة لكشف سماتهاعلى نحو واضح، وتأمين صلة أقوى من الصيغ بما يمكن تسميتها" صيغ أمثال الشخصية"، قبل أن تكون عامة لما تشتمل عليه من صفات، أو ما ينتج منه من مواقف ترتبط بشكل مباشر بشخصياتها كما في صيغ أمثال'' لقمان''على سبيل المثال.

يكشف المدخل السابق عن نقطة مهمة في دراسة المثل، فنيا،ذلك بأن نصوص الأمثال أسوة بنصوص الأدب السردي،لا تنطوي– في جانبها القصصي –على صورة

---

1. نبيلة ابراهيم، لغة النص في التراث العربي، مجلة فصول المصرية،مجلد 2، عدد2،1982،ص7.
2. سرد الامثال، مرجع سابق، ص135.

واحدة للشخصية، تنتقل بين مختلف وقائع صيغتها،وتتجسد -على الرغم من تباين تجاربها، بل إنها تقدم سمة سردية مهمة من سماتها، من خلال صور متعددة تقتضيها نوعية التجربة وخصوصية أدائها.

بالإنسان بوصفه محور اهتمام وتبرز أهمية الشخصية من خلال ارتباطها القصة، كما أنها تنطق بالمثل ولها يضرب، علاوة على أنَّ المثل يأتي في قصص بوصفه تلخيصا لتجربة إنسانية متعلقة بشخصيات؛ ولهذا فإن الشخصية الأمثال الإنسانية مرتبطة بقصة المثل من خلال ثلاثة أوجه: الوجه الأول يتعلق براوي القصة ومؤلفها،، والجانب الثاني يتعلق بالمروي له والمتلقي، أما الجانب الأخير فيتمثل في أبطال القصة أنفسهم،وهذه الشخصية هي التي يقع عليها مركز الثقل في السرد،ومن هنا جاء الاهتمام بهذه الشخصية.دون أن يعني ذلك عزلها عن النص، بل إن البحث سيتعامل معها على أنها محور للدراسة. وبهذا؛ فإن دراسة الشخصية قد تعني دراسة معطيات السرد كافة.

ولو أننا عدنا لقصة المثل السابق" وافق شن طبقة"وتناولنا بناء الشخصية فيه،وكيف أن القصة سعت لبناء النموذج المثال،المتشكل في شخصية البطل المحتمل"شن" الباحث عن شبيهه المتميز" طبقة" من خلال رحلة الذكاء، وهنا نرى كيف ان السرد عمل فنيا على اخراج هذا النموذج البشري بصورة إبداعية عبر الحبك الحكائي القائم فعلا في أرض النص، بقيادة" شن"وبتوجيه من السارد الخفي ن وبلغة سردية مباشرة بدأت بالفعل"كان"واسمها المضمر، لكن الحدث بدا ليكتمل في رؤية تشبه الخيال،حيث يجد"شن""طبقة" ويتزوجا،وبزواجهما يصبح المثل اعمق دلالة وأكثر إقناعا، وأجود امتاعا. وهنا نجد أن الشخصية هي التي لعبت الدور الاكبر في تحقيق ذلك كله ن حينما قادت العملية السردية فتطور معها الحدث واكتملت الحبكة ن وجاء الحل ليصبح مثلا مضروبا ومؤثرا.

ولا بد - ونحن نتناول الشخصية في المثل- من دراسة شخصية الراوي الذي يقدم الشخصية،من تقنيات السرد ما عرف بأنواع السارد، وهنا قد نتحدث عن أصوات الرواة المحتملين، وحينما نستقرئ قصص الامثال نجد أن قصص الامثال تتكئ في أكثرها على صوتين هما: صوت الراوي وصوت المؤلف،ويتضح صوت المؤلف من خلال حضوره، في بداية القصة، واثنائها،وفي ختامها،مقارنا هذا الصوت لدى مؤلفي قصص الأمثال، كما بدا ذلك في قصة" شن وطبقة"حين اورد الضبي المثل على لسان الشرقي بن القطامي.

كما أن دراسة أنواع الرواة الذين يقدمون قصص الامثال يساعد على فهم طبيعة البناء السردي لقصص الأمثال، وهنا نعود الى التقسيم الكلاسيكي لأنواع الرواة: الراوي كلي المعرفة،والراوي الخارجي أو ما يعرف بعين الكميرا،والراوي الداخلي،. هؤلاء يمكن تعقب حضورهم الكمي في النص ن ورؤية الكيفية التي يوجهون من خلالها الخطاب السردي وتناول سمات كل راو وعلاقته بالشخصية.

من نحو آخر يمكن التعرض لطرق تقديم الشخصيات في قصص الأمثال من كل راو أو مؤلف، والراوي- كما نعلم- قد يكون المؤلف أو قد يكون سواه،فيمكن مثلا دراسة النسب التكرارية لحضور الشخصية، وكيف قدمها المؤلف عبر سناريوهات السرد المتعددة.وهذا يدعو الى معرفة انواع الشخصيات من نحو ن ثم دراسة سماتها ولغتها وأبعادها المعروفة في العرف السردي: كالبعد الاجتماعي او الثقافي أو الجسدي، بل يمكن تصنيف هذه الشخصية تصنيفا جنسيا،إلى رجل وامراة مثلا وعرض سمات كل جنس منهما، ويمكن تعقب الملامح السردية المنتجة من خلال هذه المفارقة أو التمايز الجنسي، ولعلنا سنصل من خلال هذه المقارنة المحتملة الى وظيفة الشخصية كما تعرضها قصة المثل،أي أنا سندرس علائق الوظائف في البنية السردية مما يعني توسعا في مجالات الدرس النقدي وقد نصل الى منتج علائقي شبه متلازم يجمع بين الشخصية والوظيفة والعلاقة.اي علاقة الشخصية بالوظيفة، بل إن هذه البنية الثلاثية سترتبط بالنص الأصلي لتكشف عن اللغز الدلالي المرجأ،وبهذه العلائق المتداخلة نستطيع الكشف عن جوانب اسليب الامثال اللغوية، ومدى ارتباطها بشخصيات معينة،أو بدلالات النص ذاته.

ويمكن دراسة أسلوب المثل من زاوية تلك العلاقة القائمة بين البناء اللغوي وبناء الشخصيةمن حيث مثلا \ول المثل وقصره، عدد شخصياته ونوعيتها،هل صرح بالشخصية أم كنى بها؟ هل جاءت مجردة أم موصوفة أم مضافة؟ هل المثل كان منظوما أم منثورا؟وهل الشخصية تكررت في المثل أم كان ورودها مرة واحدة.

أما الأنواع النمطية للأمثال، المرتبطة بمعطيات نمطية معينة، فهذه قد تكشف عن أنماط بعينها تتعلق بصيغة القصة الصرفية،من خلال الاعتماد على النتائج السابقة كلها اي من خلال اعتماد فكرة العلائق الثلاثية،فدراسة الشخصية، ووظيفتها وعلاقتها بالنص،ينقلنا للتعرف على الدلالة الصرفية لقصة المثل، ووظيفة هذه الصيغة.

نستطيع مثلا أن نعقد فصولا من المقارنات الثنائية من نحو: الدلالة والاسلوب،والدلالة والشخصية،والدلالة والنمط، وهذا كله سيصب في تقديم رؤية ثقافية ذات بعد تاريخي لهذا النمط الأسلوبي العربي.

الحدث في المثل

إذا كانت الشخصية قد شكلت ركيزة أساسية، تدور حولها أبجديات السرد، في القصة وفي النص؛ فإن الحدث هو الإطار الفعلي الذي تتحرك من خلاله الشخصية، وتبنى عبر محطاته،ولولاه لما وجدنا حكائية للمثل؛ فالشخصية ترتسم من خلاله، وتمر عبر معالم البنية السردية الحقيقية التي تكسبه سمة الأدبية إلى عالم التشكل المكتمل؛ ذلك أن" أبسط شكل للقصص النثري هو قصة تحكي سلسلة من الأحداث"(1).ومعلوم أن" الاحداث ،وهي تشكل وحدة مؤثرة من وحدات نصوص

---

1 أدوين موير، بناء الرواية، ترجمة:ابراهيم الصيرفي، مراجعة:عبدالقادر القط،الدار المصرية للتاليف والنشر نالقاهرة،1965، ص12.

الأمثال، وتسهم في نمط من الصياغة يراعي فيه التأليف للواقعة التاريخية،وهي تتداخل مع التخييل في نصوص المؤلفين العرب الأوائل، فتضيء توجها عربيا قديما،اختصت به القصص، بدأ منذ العصر الجاهلي، ثم نمى وازدهر في العصور الإسلامية، نما من داخله، ووفقا لمنطقه الخاص، ولمنطق العصر والمجتمع اللذين كان يخاطبهما"1.

وتعتمد قصة المثل- في الأغلب –على النسق التتابعي الذي يبنى حكائيا من خلال متتاليات زمنية رتيبة،تشكل بدائية النص الحكائي، وأحيانا تقوم البنية على أساس كشف الحالة السببية التي من أجلها قيل المثل،وذلك من خلال" رصد للوقائع التي يفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية تقوم على جملة من العناصر الفنية والتقنية والألسنية معا"(2).

وهذا التتابع من شأنه أن يبدأ بتشكيل الدور الحقيقي الذي يصنعه الحدث في سردية النص؛ حيث توجد حركة السرد، وتؤمن فعاليته بما تكون بينها من علاقات وما يقترح لها من ترتيب، فإن ما يعنينا في القصة –بالدرجة الأساسية- حسب تعبير(روبرت شولتز) هو ترتيب الأحداث(3)، وانتظام حضورها، وهي تحقق عبر النسقين المذكورين- التتابعي والسببي- شكلين مهمين، هما:عدة تجليها في قصة الأمثال، سواء ما استحضر منها بصورة مفردة،ليقدم -باعتماده خبرا معينا- تجربة محددة لمثل لا تبدو معه مجتزأة، أو مقطوعة، أو ما انتظم منها مع مجموعة أخبار يتميز كل منها باستقلال نسبي، لكنها ترتبط فيما بينها برابط معين،شخصية أو حدث،ففي النسق الأول -الذي يعد أكثر الأنساق بدائية في الأدب- تقدم قصة المثل على أساس رواية الحدث جزءا بعد آخر، من دون أن يكون بين هذه الأجزاء شيء من قصة أخرى، وهو يلاحظ على نحو خاص في الأمثال التي تنطوي على حدث واحد، توجه لتقديم أجزاءه تقديما تراتبيا، في حين تعمد في النسق الثاني إلى تنضيد مجموعة من الأحداث المستقلة التي يربط فيما بينهما،كما تقدم،رابط معين من دون أن تفرط بحضور النسق الأول في تقديم كل الأحداث منها، وقد تتوجه النصوص لتقديم تنويع داخل نسقها يهيئ لأحداثها مجالا مناسبا للتوسيع مساحتها السردية بما يسهم في استضافة عدد من الصيغ التي لا ترتبط ارتباطا مباشرا بموضوعها الأساس، أو شخصيتها، بل تنبثق عن توزيع داخلي.

ونحاول-الآن- استحضار تتابعية بعض الأمثال لنبين كيف تقام البنية السردية،من خلال ترابطات وارتباطات تبنى على التتابع حينا، وعلى السببية حينا آخر؛ لنختار ما جاء في مادة المثل"الحديث ذو شجون"

---

1 سرد الأمثال مرجع سابق، ص89.

2 -سرد الامثال، ص90

3 - راجع في هذا ما كتبه روبرت شولتز، في كتبه: البنيوية في الادب، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984

وأول من قال هذا المثل ضَبَّة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مُضَر، وكان له ابنان يقال لأحدهما سَعْد وللآخر سعيد، فنقرت إبل لضبة تحت الليل، فَوَجَّه ابنيه في طَلَبها، فتفرقا فوجَدَها سَعْد، فردَّها، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن وكان على الغلام بُرْدَانِ فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ بُرْدَيْه، كعب، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سَوَادا قال: أسَعْد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة، فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجَّ فوافى عُكَاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدَىْ ابنه سعيد، فعرفهما، فقال له: هل أنت مُخْبِرِي ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيتُ غلاما وهما عليه فسألتهُ إياهما فأبى علي فقتلته وأخذتُ بُرْدَيه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعْطِنِيه أنظر إليه فإني أظنه صارما، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخَذَه من يده هَزَّهُ، ثم ضربه بِهِ حتى قتله، فقيل له: يا ضبة أفي الشهر الحرام؟ الحديثُ ذو شجون، :وقال فقال: سَبَقَ السيف العذل، فهو أول مَنْ سار عنه هذه الأمثال الثلاثة. قال الفرزدق: كَضَبَّةَ إذ قال: الْحَدِيثُ شُجُونُ ثم ضربه بِهِ حتى قتله، ..لا تأمَنَنَّ الحربَ إنَّ اسْتِعَارَها. فقيل له: يا ضبة أفي الشهر الحرام؟ فقال: سَبَقَ السيف العذل، فهو أول مَنْ سار عنه هذه الأمثال الثلاثة. قال الفرزدق:

"1.لاتأمَنَنَّ الحربَ إنَّ اسْتِعَارَها... كَضَبَّةَ إذ قال: الْحَدِيثُ شُجُونُ.

نلاحظ في هذا النص تجليات القيمة السردية،عبر هذه النمطية التتابعية التي تعتمد على ثلاث ركائز أساسية؛ فهي صيغة ترتبط بسبب، وتنتهي بنتيجة؛لتشكل التوازن المفترض في المثل؛فثمة توازن تفترضه الصيغة الخبرية" وكان له ابنان يقال لأحدهما سَعْد وللآخر سعيد"

أما عملية التغيير فقد بدأت من خلال عبارة" فنقرت إبل لضبة تحت الليل"وهذا هو السبب أما النتيجة فتبدا بالتشكل عند قوله"خرجا يطلبانها"ثم تبدأ الحبكة تتشكل عند فقدان التوازن، وذلك عند قوله"اسعد أم سعيد" بعد أن سعد، ولم يعد سعيد"ومن هنا ستنشأ عملية التغيير الحتمية حيث يتبين لضبة أن الحارث هو قاتل سعيد ن فينتقل الخطاب ليتشكل المثل"ان الحديث لذو شجون"ويستمر هذا التنقل حتى ينشا مثل اخر مؤكد لطبيعة الحدث ورؤية السرد، فيقتل ضبة الحارث، ويلومه الناس لأنه فعل فعلا محرما في الاشهر الحرم فتخرج العبارة الجديدة" سبق السيف العذل".

الخاتمة

المثل من أكثر الأشكال التعبيرية شيوعا وانتشارا، ولا تخلو منه أية ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءتها، وتجسد أفكارها وتصوراتها وتاريخها وفلسفتها ومعتقداتها وعاداتها.

[1] مجمع الامثال، ص 197.

والمثل له طابعه وخصائصه، وطرق ضربه وحالاتها المشابهة,وهو غالبا ما يرتبط بقصة تكشف عن مجالات ضربه واستعماله، وأسباب تشكله.

وقصص الأمثال تختلف عن بقية أنواع السرد التراثية – سواء أكانت عربية الاصل أم لم تكن– ذلك أنها- دائما - ترتبط بمقولة هي المثل، وتحتوي على مغزى يتحول إلى عبارة موجزة تلخصه، وتختزل المعنى المستفاد من القصة، غير أن المثل مستقل لغة عن النص، دون أن يعني ذلك انعدام الصلة بينهما.

وقد تناولت هذه الدراسة البنية السردية في المثل وقصته،و خلصت إلى جملة من النتائج الهامة، في مجال الدرس النقدي تمثلت في النقاط التالية:

1 – أن كل مثل -مهما صغر حجمه- يحتمل بذور بنية سردية تكشف عن وجود نص حكائي مكتمل، وذلك بالنظر إلى قصة المثل التي ستتكئ عليها القيمة الدلالية المضروب لأجلها المثل.

2- السمات الفنية للمثل، القائمة على الإيجاز،والتكثيف، والثنائية،والتصوير، ونوع من الإيقاع والتصوير،وشيء من الحوار تؤسس لبنية درامية تدخل النص في عالم القص.

3- ارتباط قصة المثل بالمثل الأصلي يمثل تناصا تكامليا يجعل من النص الأصلي نصا مفتقرا إلى غيره، دلاليا، ومعتمدا على عناصر قصة المثل الحكائية لتفسير البنية السردية فيه.

4- كشفت قصص الأمثال العربية عن عناصر سردية هامة،تمثلت في: الشخصية والحدث ولغة السرد،وقد وظفت في هذه العناصر في المثل وقصته تمثيلا فنيا رائعا، كشفت عن عالم سردي تناولته الكتابات القديمة جمعا وتبويا، وعندما يعاد درسه- الان- عبر أدوات النقد الحديث ومناهجه يمكن الوصول إلى حقائق ممتعة، وأن نضيف لمكتبة النقد الحديث كما هائلا من الدراسات النوعية في هذا المجال.وهذا ما حاولت أن تقدمه هذه الدراسة من خلال تتبع القيم السردية في المثل وتحليلها وبيان مراتب تشكلها.

المراجع والمصدر

1. أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(المتوفى: 518هـ)تحقيق:محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان،ج2،.د. ت.
2. أدوين موير، بناء الرواية، ترجمة:ابراهيم الصيرفي، مراجعة:عبدالقادر القط،الدار المصرية للتاليف والنشر،القاهرة،1965،.
3. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ 1998مص58

4. روبرت شولتز: البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1984
5. (شلوفوسكي)، بناء القصة والرواية، ترجمة: إبراهيم الخطيب،الشركة المغربية للناشرين المغربيين المتحدين،بيروت، 1982.
6. عبدالله ابو هيف،المصطلح السردي تعريبا وترجمة في النقد الأدبي الحديث، مجلة الدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 28نعدد 1،2006.
7. عبد الرحمن النحلاوي، التربية بضرب الأمثال،، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ 1998مصن.
8. عبد الحليم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.
9. لؤي حمزة عباس،سرد الامثال،من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
10. ناصر بن صالح العجيلان،الشخصية في قصص الأمثال العربية،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة الملك عبد العزيز. نشر عام 2009 م(بالتعاون مع المركز الثقافي العربي
11. نبيلة ابراهيم، لغة النص في التراث العربي، مجلة فصول المصرية،مجلد 2، عدد2،1982
12. هنري جيمس، مقدمة قصة السفراء،نقلا عن:حسين الواد،البنية القصصية في رسالة الغفران،تونس، دار الجنوب،1993.
13. rimmmon kenan. Narrative .fiction.londen.newwaccente.1983.p35.